
من بطولات أرض القيروان...
معركة «جبل السمامة»..
بطولة وشهامة..
بقلم المجاهد: أحمد القيرواني
منشورات جمادى الآخر 1438هـ
مؤسسة إفريقية المسلمة

من بطولات أرض القيروان...

معركة «جبل السمامة»..

بطولة وشهامة..

بقلم المجاهد:

أحمد القيرواني

منشورات: جمادى الآخرة 1438 هـ

3 2 1

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلاّ على الظالمين، والصلاة والسلام على إمام المجاهدين، نبي المرحمة والملحمة القائل:«**من قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة**» وبعد:

فيطيب لمؤسسة «**إفريقيا المسلمة**» وتتشرف من خلال هذه المقالة.. تحديثا بأنعم الله على المجاهدين.. وتحريضا للأنفس المستيئسة.. أن تنشر لإخواننا المسلمين أحداث معركة دارت فصولها على أرض الجهاد بتونس القيروان في أواخر شهر جمادى الأولى 1438هـ..

إنها أحداث معركة خاضها مجموعة قليلة العَدَد من المجاهدين وبعُدَّة بسيطة من الأسلحة الخفيفة، أظهروا فيها كيف يكون المؤمن عزيزا بجهاده، ومنتصرا بإيمانه، أعلنوا فيها، كيف يكون الانتصار في زمن الهزيمة والانكسار، وكيف يكون الشموخ في زمن الخنوع والرضوخ، وكيف يكون الثبات في زمن الانحدار وكيف يكون عدم حني الرؤوس أمام العواصف العاتية......

فقَبل أيام قليلة دارت معركة بين ثلة من المجاهدين وبين عساكر جيش الرِّدّة التونسي، على ثرى جبل «**السّامة**»، فوددنا أن ننشر تفاصيلها التي أبت (الصحافة الحرة والنزيهة!) إلا أن تزور حقائقها ـ كعادتها ـ بعد أن لم تستطع إخفاءها أو تجاهلها، كما تجاهلت معارك أخرى غيرها..

إنها قصة (11مجاهدا) من مجاهدي كتيبة «عقبة بن نافع»، فتتبّع الرواية وهي كالتالي:

صلوا صلاة الصبح في يوم من أيام الله، وكعادتهم استهلّ كل واحد منهم بقراءة ورده الصباحي من الأذكار والذكر الحكيم، وهذه هي حياة المجاهدين نصرهم الله... ومع الإشراقة الأولى لأشعة الشمس التي بدأت تنساب ببطء مع تلك القمم لترسم مشهدا جميلا من مشاهد بلاد القيروان التي تغري السياح ليتمتعوا بجمالها، ولكن من بركات الجهاد فإن المجاهدين يجيونها بكرة وعشية، وسياحتهم من نوع آخر، فيا لله ما أجملها وأروعها، يقول الإمام ابن النحاس رحمه الله:

(لما كانت السياحة هي السير في الأرض على سبيل الفرار من الأغيار، والنظر إلى الآثار بعين الاعتبار سمي الجهاد في سبيل اللهّ تعالى سياحة، لأنه فرار من الوجود وسير إلى المعبود، على قدم الإيمان والتصديق

بالموعود، ونظر للنفس بعين الإنصاف في تسليمها للمشتري خروجا من عالم الخلاف، وشتان بين من هو سائر بنفسه ينزهها وبين من هو مجتهد عليها ليتلفها، هذا هو السائح يقينا، والبائع نفسه بالربح الأعظم فوزا مبينا) اهـ [مشارع الأشواق].

كان الأمر يبدو لدى المجاهدين كالمعتاد، أمن واستقرار، وفجأة إذ بأصوات الرصاص ودوي التفجيرات تملأ المناطق القريبة منهم، فعلموا أنّ زمرة من إخوانهم متمركزة في «جبل سمامة» تم محاصرتها.

وللتأكد من الأمر، تواصلت هذه الزمرة مع المجموعة المحاصرة، وعلموا بحالة إخوانهم، وأن الأمر كما ظنّوا، وزاد الأمر سوء وتعقيدا أنه كان معهم بعض الجرحى..

فتحركت حرارة الإيمان الذي خالطت بشاشته القلوب، لترسم على وجوه تلك الثلة المؤمنة نخوة المجاهد وهو في عز فورته لينتصر لإخوانه ورفاق دربه، ومع التحريض أشرقت أسارير الوجوه مستبشرة بأحد الموعودين، نصر وفك الحصار عن إخوانهم أو شهادة يرتقون بها في سجل الصادقين ﴿**مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا**﴾.. وعلى الفور، قسَّم القائد العسكري الزمرة إلى ثلاثة أفواج صغيرة، فوج إسناد، وفوجين للاقتحام وفك الحصار...

فَدَت نفسي وما ملكت يميني ... فوارس صدقت فيهم ظنوني

فوارس لا يهابون المنايا ... إذا دارت رحى الحرب الزّبونِ

فانطلقوا متوكلين على ربهم، يستنزلون نصر الله بأدعيتهم، مستحضرين معيته لعباده بقوة يقينهم وحسن ظنهم. لم تثنهم قلة عددهم وضعف عدتهم، فحاديهم في مسيرتهم قوله تعالى: ﴿**كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾، كما لم ترهبهم قوة عدوهم وقد خرج من ثكناته بطرا ورياء، وجاء بقضه وقضيضه وحده وحديده. تأزّهم الشياطين لحرب الدِّين أزّا، وشتّان شتّان ما بين الفريقين: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا**﴾

وهنا، تقدم قائد تلك الثلة، محرضا إخوانه بلسان الحال والمقال، قائلا: إذا كبرت ورميت، فكبِّروا وارموا.. فتوافقت الفعال مع الأقوال، وبدأت المعركة.، وكأن الشاعر يعنيهم يوم قال:

من كان يخضب نحره بدموعه فنحورنا بدمائنا تتخضّبُ

أو كان يتعب خيله في باطلٍ فخيولنا يوم الصبيحة تتعبُ

ومع حملة هؤلاء الفرسان لم يثبت أمامهم جنود الشيطان، فاستنجدوا بالطيران ليدعمهم، حالهم كأسلافهم: **﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾**، فأطلت عليهم بعد مدة قليلة طائرة مروحية، وبرماية مكثفة عليها بسلاح (البيكا)، اضطر هؤلاء الجبناء أن يستنجدوا بدعم جديد، وكأنهم ينقصهم السلاح والعدد.. ومع تعالي صرخاتهم، جاءت 4 طائرات مروحية أخرى ترافقهم طائرة حربية من نوع (أف5)... فألقوا حِمَمهم ليحرقوا الأرض ومن عليها، فثار نقع الغبار الذي غطى السماء.. ذلك الغبار الذي جاء في فضله على لسان من لا ينطق عن الهوى ﷺ: «**لَا يَجْتَمِعَانِ فِي جَوْفِ عَبْدٍ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ الله وَدُخَانُ جَهَنَّمَ**» وسَلَّم الله سبحانه عباده الذين تصدوا لإحدى المروحيات في ثبات عز نظيره، مما اضطر طاقمها لترك أرض المعركة.

ومع امتزاج أصوات رشاشات المجاهدين مع قنابل المرتدين، تشكلت مقطوعة حتى صارت كالنشيد الذي يشنف أسماع تلك الثلة المؤمنة ويطربها، وصار الحال:

بنا بَرْد الُمكوث فأدفئونا بحُميّ الوَثْبِ حيثُ الخَطْبُ حام

بنا عطل السّماع فشَنِّفونا بِقَعْقَعَةِ الحَديدِ لَدىٰ الصِّدام

علىٰ هذا الرّجاء و نحنُ فيهِ نَسيرُ مُوفّقينَ إلى الأمام

وفي خضم هذه المعركة وهذا الثبات، ارتفعت معنويات المحاصرين، فتعاهدوا هم أيضا ـ على ما أصابهم من القرح ـ تكسير الحصار أو الارتقاء شهداء عند باريهم، شعارهم جميعا: «**المنية ولا الدنية**»

لسان حال الواحد منهم:

ما علّتي وأنا جلْدٌ نابلُ والقوس فيها وترٌ عُنابلُ

فتمكنوا من كسر الهجمة تلو الأخرى التي كانت تشنها مختلف الفرق العسكرية المهاجمة والمدججة بمختلف أنواع الأسلحة والمدعومة بالطيران، وكان حزب الشيطان في كل هجمة يردهم الله فينقلبوا خائبين مخلفين وراءهم قتلى وجرحى. حتى أرخى الليل سدوله، وحال الظلام بين الطرفين، فخفتت حدة

الاشتباكات إلى أن هدأت، وبقي كل طرف محتاطا مترقبا..

هنا استغل المجاهدون هذا الهدوء، وتواصلوا مع إخوانهم المحاصرين وأوصهم أن يتجهزوا للخروج حينما تتم فتح ثغرة في طوق الحصار، وحددوا ساعة الصفر، وما هي إلا صولة صالها فرسان الإسلام على عساكر الطغيان، حتى يسر الله انحياز إخوانهم المحاصرين، ﴿**وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا**﴾.

وتعانق المجاهدون من جديد، وامتزجت فرحة فك الحصار عن إخوانهم، مع الحزن على استشهاد اثنين من خيرة رجالهم، أبي خلاد الجزائري، وعمار بن حمادي العلوي التونسي رحمهما الله.. فنحسبهما من الذين قدموا أرواحهم قربانا لنصرة دينهم، نسأل الله أن يتقبلهم في الشهداء، فاللهم لا تحرمنا أجرهم، ولا تفتنّا بعدهم.. آمين آمين..

* * *

ولا يفوتنا في هذه المقام أن نوجه الرسائل التالية:

* **إلى المسلمين في تونس:** ها هم أبناؤكم يبذلون أغلى ما يملكون ـ أرواحهم ـ لأجل الدفاع عن دينكم بل ودنياكم، فلا تسلموهم، وقفوا في صفهم، ولئن خذلتموهم ـ عياذا بالله ـ فاعلموا أنّ الله تعالى سائلكم عن هذا فماذا أنتم قائلون، قال سبحانه: ﴿**وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**﴾.

* **إلى أرباب الأموال وكل من يستطيع الإنفاق ولو بالقدر اليسير:** إن لم تستطع الجهاد بنفسك فجاهد بمالك، قال ﷺ: «**جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم**» [رواه أبو داود بإسناد صحيح]، وإلى من يبخل: ﴿**هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ**﴾.

* **إلى المستضعفين:** إن من أعظم ما يعين به أهل الأعذار إخوانَهم المجاهدين الدعاء لهم بالنصر والتوفيق، ولعدوهم بالهزيمة والخذلان، فالدعاء الدعاء لإخوانكم المجاهدين، قال ﷺ: «**هل تنصرون وترزقون إلا**

بضعفائكم» [رواه البخاري]، وقال ﷺ: «**إِنَّمَا يَنْصُرُ الله هَذِهِ الأُمَّةَ بِضَعِيفِهَا بِدَعْوَتِهِمْ وَصَلَاتِهِمْ وَإِخْلاصِهِمْ**» [رواه النسائي]، يقول الإمام ابن القيم رحمه الله:

هذا ونصر الدِّين فَرْض لازمٌ   لا للكفاية بل على الأعيـانِ
بِيَدٍ وإما باللِّسان فَإِنْ عَجَزْ   تَ فبالتّوجّه والدّعا بِجَنانِ

وهذا لا يتطلّب منكم ـ ولله الحمد ـ إلا حركة اللِّسان! ثم لا يوجد خوف ولا مراقبة.

وصلى الله وسلم على نبيِّنا محمد وآله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

وكتبه أخوكم:

أحمد القيرواني؛ عفا الله عنه وعن والديه وجميع المسلمين

يوم: 9 جمادى الآخر 1438هـ/ 8 مارس 2017م